والسبب في ذلك واضح للغاية: ففي سيناء، المنطقة الصحراوية الواسعة، البعيدة عن المناطق المأهولة في اسرائيل، مجال واسع للكر والفر، والتقدم والتقهقر، وباستطاعة القوات الاسرائيلية ان تخسر معركة أو أكثر، ان فرضت عليها، دون أن يؤثر ذلك فورا على اسرائيل نفسها، نظرا لبعد مسرح المعارك عنها. أما في الجولان، فان الوضع مختلف، وأي اختراق سوري سيعرض للخطر مناطق مأهولة، في الهضبة أو داخل اسرائيل نفسها؛ أو، على حد تعبير العازار نفسه: «لدي جبهتان : احداهما قريبة من دولة اسرائيل، والثانية بعيدة عنها. في القناة، يمكن أن نحارب بهذا الشكل أو ذاك، فنتراجع عشرة كيلو مترات، ثم نتقدم، وعندما يوجد لديّ بضع مئات من الدبابات هناك، اعتمد على الجماعة بأن تناور وتعود... مع نصف عدد الدبابات. فهناك نفسنا أطول... أما في الجولان... فيكفي ان تكسر حلقة واحدة... ويتدفقون منها، فحتى حيفا، لا توجد دبابات. ومن حيفا الى تل - أبيب، يسافرون أيضا بسرعة»(٢/١٠٥ - ١٠٦).

كانت هذه الاستراتيجية هي التي عمل الجيش الاسرائيلي بموجبها، خلال الأيام الأولى من الحرب، عندما وجّه معظم جهوده ضد السوريين في الجبهة الشمالية، حيث أوقع الطرفان، بعضهما بالبعض الآخر، خسائر فادحة، فانهك كل منهما الآخر، ووصلا، في اليوم الرابع لنشوب المعارك، ٩/١٠، الى وضع لم تبق معه لدى أي طرف منهما القدرة على مهاجمة الآخر. ولذلك تجمّد الوضع على الجبهة، وانتقل الفريقان الى وضع المعارك الدفاعية، بينما كان الجيشان يقفان، تقريبا، على جانبي خط وقف اطلاق النار ١٩٦٧، دون أن يحرز أيٌّ منهما تقدما يذكر داخل المناطق التي كان الفريق الآخر يسيطر عليها قبل نشوب الحرب (٢/١٢٦). ولكن في اليوم التالي حدث تمرد (٢/١٤٩) في احدى وحدات الجيش السوري (وقيل في حينه أن ما حدث عمليا كان خيانة)، مكّن الاسرائيليين من اختراق الخطوط السورية واحتلال منطقة اخرى في الجولان، اضافة الى تلك التي كانت تحت سيطرتهم منذ سنة ١٩٦٧. وحاول الاسرائيليون، في اليوم التالي، توسيع رقعة هذه المنطقة الاضافية المحتلة حديثا، الا أن المقاومة العنيفة التي لاقوها من السوريين من جهة، وضعف قواتهم، بعد ان نقص عدد دباباتهم على الجبهة السورية الى ثلث ما كان عليه، عند بدء القتال من جهة أخرى (٢/١٦١ و١٦٦) حالا دون ذلك. وفي ١١/١٠ اجتمعت الحكومة الاسرائيلية وقررت أن الهدف من الحرب على الجبهة السورية ليس احتلال مناطق اضافية (اذ لم تكن هناك قوة كافية لذلك، على كل حال)، كما كان من الضروري التوجه نحو الجبهة المصرية أيضا)، بل تحسين وضع القوات الاسرائيلية في المناطق التي تم احتلالها حتى ذلك الوقت، بهدف تحسين قدرة اسرائيل على الضغط عند بدء المفاوضات السياسية، مع انتهاء القتال (٢/١٧٤).

أما العازار فقد «وسّع» ، في اليوم التالي، مفهوم هذا القرار، وأبلغ القوات الموجودة في الشمال أن تحاول العمل على احتلال أي رقعة اضافية من الأرض، يمكن للمدفعية الثقيلة ان تقصف منها مدينة دمشق، وذلك بهدف تشديد الضغط على السوريين (٢/١٩٣). وعاد العازار وأكد على تعليماته تلك خلال الأيام الثلاثة القادمة، ١٢ و١٣ و١٤/١٠ (٢/ ١٩٨ - ١٩٩ و٢٠٢ - ٢١٢). وبذلت القوات الاسرائيلية أكثر من محاولة لتنفيذ ذلك. الا أن القوات العراقية، التي كانت قد وصلت آنذاك الى الجبهة، للقتال الى جانب السوريين، منعت الاسرائيليين من تحقيق هذا الهدف.

أما على الجبهة المصرية، فقد اختلف الوضع. فخلال الساعات الأولى من القتال، نجح المصريون في عبور القناة، وسيطروا على كافة استحكامات خط بار - ليف، الممتدة على طول خط المياه؛ وذلك باحتلال جزء منها وتطويق الجزء الآخر. وشن الاسرائيليون عليهم، على الأثر، ثلاثة هجومات لصدهم، إلا انها فشلت جميعا، وأسفرت عن دفع القوات الاسرائيلية بعيدا عن القناة. ثم خرج شارون للهجوم الرابع، على رأس أوعداه (فرقة معززة) مدرعة، الا انه تاه في الصحراء لمدة يوم كامل، ثم عاد حيث انطلق (٢/١١٤ - ١١٥). وعلى الأثر، انهمك القادة الاسرائيليون المحليون، في الجبهة، بالخلافات فيما بينهم، الى حد ظهر معه وكان كلاً منهم يعمل على هواه، فيما كانت القيادة العامة منهمكة في متابعة المعارك على الجبهة السورية. ويكاد يخيل للقارىء أن المصريين لو استغلوا هذا الوضع، واصطلوا اندفاعهم، الذي ميز تحرك قواتهم خلال اليومين الأولين من القتال، في الايام الثلاثة أو الاربعة التالية، لاحرزوا تقدما أكثر من ذلك